مجلة التراث

J-ALT

2018/ Vol:8 N°01

Available online at: http://www.asjp.cerist.dz

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

أثر سورتي البقرة والكهف في شعر أبي نواس

عليوة محمد، طالب الدكتوراه ،كلية الاداب واللغات ،جامعة الجزائر 2، الجزائر.

الدكتور: **عروج يوسف**، المشرف، كلية الاداب واللغات ،جامعة الجزائر 2، الجزائر.

مجلة التراث، العدد 29 / ديسمبر 2018، المجلد الأول، الجزء الثاني

لتوثيق هذا المقال:

عليوة محمد ، أثر سورتي البقرة والكهف في شعر أبي نواس ، **مجلة التراث**، العدد 29، المجلد الأول، ديسمبر 2018.

تاريخ الإستقبال: 2018/06/12

تاريخ التحكيم: 2018/12/16

تاريخ قبول النشر: 2018/12/29

ملخص:

يمثل هذا البحث المقتضب محاولة استقراء لتأثر أبي نواس بسورتي البقرة والكهف ومدى حضورهما في شعره في شكل اقتباسات حرفية لفظية أو إيحائية وربط ذلك بالمصطلح النقدي الحديث " التناص " ، حيث يظهر الجانب التطبيقي من البحث كثرة تشرب الشاعر من السورتين الكريمتين في بعض نماذجه الشعرية وحسنه ، ولابد لأنّ في ذلك إشارة بارزة إلى تشبعه بثقافة دينية قرآنية واسعة .

وإذا كان الاقتباس ذا طبيعة دينية فبالإمكان الحكم على أبي نواس بالتجديد في توظيفه للألفاظ والمعاني القرآنية من خلال الخروج بها عن إطارها الديني ، وتوظيفها في اتجاه معاكس تماما إذ تبدو هذه الاقتباسات من السورتين وسور القرآن عامة في باب خمرياته التي تمثل الجزء الأكبر من ديوانه.

الكلمات المفتاحية:

أبو نواس – الاقتباس – التناص – سورة البقرة – سورة الكهف

The effect of the Surat Al-Baqarah and Al-Kahf in the poetry of Abu Nawas

Summary:

This simple research represents an attempt to extrapolate to the influence of **Abu Nawas** on the two Surahs Al-Baqarah and Al-Kahf and the extent of their presence in his poetry in the form of literal or suggestive literal quotations and linking it to the modern monetary term "intertextuality" . The practical side of the research reveals the poet's fulfillment from the two holy Surahs in some of its examples , This must be a sign that it is saturated with a broad Quranic religious culture.

If the quotation is of a religious nature, it is possible to judge **Abu Nawas** by renewing his use of the Quranic terms and meanings by exiting them from their religious framework and employing them in a totally opposite direction. These quotations from the Quran are generally considered in the section of his writings which represent the bulk of his writings.

أثر سورتي الكهف والبقرة في شعر أبي نواس

الفكر النّقدي العربيّ القديم حافل بالنّظريات والإجراءات التّطبيقيّة الّتي تعتبر أصلا من أصول النّظريات النّقديّة الغربيّة الّتي تثير إعجابنا لما اكتسته من ثوب حداثي ترجع أصولها في حقيقة الأمر إلى تراثنا النّقدي ، و قد لا يكمن الاختلاف سوى في المصطلح أو المناهج .

وحسب ما يذهب إليه عبد المالك مرتاض فإنّ مصطلح "التّناص" مرادف لمصطلح "السّرقات" المتداول منذ القديم لدى العرب ولكن بمفهوم إيجابي بعيدا عن ما كانت تحمله من معاني سلبيّة ، ولم يكن مرتاض وحده من خلص إلى توافق المصطلحين حينما ربط بين التّناص بمفهومه الحديث وقضيّة السّرقات التراثيّة ، بل أيّده في ذلك كثير من النّقاد لعلّ أبرزهم محمد عبد المطّلب وربى عبد القادر ، بالإضافة إلى الغدامي وصبري حافظ .

والرّابط الأساسي الجامع بين المصطلحين أنّه لا يمكن فهم النّص إلّا من خلال تحديد علاقته مع نصوص أخرى ، ومثال ذلك قول سراج الدين الوراق :

يَا لَائِمِي فِي هَوَاهَـا أَفْرَطْتَ فَي اللَّوْمِ جَهْلًا

لَا يَعْلَمُ الشَّـوْقَ إِلَّا وَ لَا الصَّبَابَـــــةَ إِلَّا

فالقارئ لهذا البيت قد يتشعب فكره في مناحٍ شتّى ، لا يدرك المراد منه إلا إذا كان على علم بقول الشاعر القديم:[1]

لَا يَعْلَمُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

ويتضّح من خلال هذا المثال أنّ فكرة "حفظ النّصوص ونسيانها" الّتي جاء بها ابن خلدون وابن طباطبا هي أحد أعمدة التّناص ، ونظريّات القراءة الحديثة ، وكذا ما يعرف لدينا بطريقة حفظ النّصوص الجيّدة من مُتُون والقرآن والحديث والأشعار و... ممّا نستعين به في تعليم أبنائنا وإكسابهم ملكة لغويّة والعمل على جعل أدمغتهم أكثر انفتاحا على مختلف العلوم واللّغات.

فالمستوى المعرفي الثقافي للمتلقي يلعب دورا هاما في الكشف عن النّص الغائب الذي يتفاعل معه النص الحاضر محل الدراسة باعتبار القارئ قطبًا هامًا وعنصرًا أساسيا ينكشف به التناص ، لأن النص الغائب قد يكون نصا قرآنيا أو حديثا نبويا شريفا أو قطعة أدبية نثرية كخطاب أو مقال أو مثل أو حكمة أو قول مأثور لأحد العلماء أو الحكماء أو نصا شعريًا ... بالإضافة إلى ضرورة إدراك السياق فذلك يعد شرطا أساسيا للقراءة السليمة التي يظهر من خلالها التناص للقارئ ، وذلك لأن للّنص سياقات متعددة يمكن أن تكون ذات رابط اجتماعي أو سياسي أو تاريخي أسطوري أو حضاري أو...

فالمقصود بالمتلقي في هذا الإطار ذلك القارئ الذي يمتلك ذائقة جمالية ومرجعية ثقافية واسعة تؤهله لدخول عالم التناص فتصبح قراءته للنصوص إعادة كتابة عن طريق الفهم والتأويل فيكون بذلك عنصرا حاسما في رفع النّقاب عن التناص في حالة غياب المرجعية النّصية .

وقد قسم البلاغيون المعاصرون التناص إلى تضمين واقتباس وهما مصطلحان معروفان في الدرس البلاغي العربي منذ القديم ، إلا أنهما عرفا تطورا كغيرهما من المصطلحات النقدية.

فالاقتباس يعني بصورة مختصرة أخذ الشاعر أو الناثر نصا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ليوضع في شعر الشاعر أو نثر الناثر، ومن البلاغيين والنقاد من جعل الاقتباس يشمل الأخذ من بعض العلوم والمعارف الأخرى ، كالنحو والصرف والفقه والعروض ، وغير ذلك . أما التضمين فيعني أخذ الشاعر بيتًا أو جزءًا من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره ، على أن يكون ذلك علنا من دون أن يخفي ذلك ، و إلّا فالأمر يعد سرقة أدبية .

(فنجد عبد الهادي الفكيكي في كتابه " الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي " يربط الحديث عن الاقتباس بالحديث عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وآدابها .)[2] وقد تطرق من خلال كتابه إلى الأغراض الشعرية التي مسها الاقتباس مقدما نماذج في الزهد والوعظ ، المدائح النبوية ، المدح والهجاء ، الفخر ، الاستعطاف ، الرثاء ، الغزل والعتاب .

(والاقتباس لغة : طلب القبس ، والقَبَس بفتح الباء شعلة من نار تؤخذ منها أو من معظمها ، فاقتبس النار أي أخذها)[3] ، وبهذا المعنى جاء في سورة طه على لسان موسى عليه السلام (إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس)[4] ، (كذا ما روي عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، وكانت عائشة قد بعثت خادمها "فند" ليقتبس لها نارا ، فتوجه إلى مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجمر فقال: تعست العجلة ، فردت عليه قائلة :

بَعَثْتُكَ قابِسًا فلَبِثْتَ حَوْلًا متى يَأتي غَوَاثُكَ مَن تُغِيثُ

ويستعار لفظ الاقتباس لطلب العلم والأدب فتقول : اقتبست منه علما وأدبا أي أخذت واستفدت)[5] (واقتبست منه علما أيضا ، أي استفدته ، قال الكسائي اقتبست منه علمًا ونارًا سواء)[6] وقد ورد الاقتباس بمعنى الاستعارة والاستفادة وطلب الهداية في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)[7]، ومنه قوله تعالى في سورة الحديد (انظرونا نقتبس من نوركم)[8]

أما اصطلاحًا ، فالاقتباس عند البلاغيين : (أن يُضَمَّنَ الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ، لا على أنه منه ، والكلام هنا يشمل المنظوم والمنثور)[9] ومنهم من قصر الاقتباس على القرآن لا غير، فقيل : (الاقتباس أن يضَمِّن

المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله)[10] ومنهم من لم يكتفِ بذلك ، فزاد على القرآن والحديث الاقتباس من مسائل الفقه والعلوم الأخرى ، كالنحو والعروض والمنطق وغيرها .

(وتجدر الإشارة إلى أن على المقتبس من كلام الله عزّ وجل أو الحديث أن لا ينبّه على ذلك)[11] أي أن لا يقول في كلامه المنظوم أو المنثور " قال تعالى" أو " قال رسول الله " أو ما يشبه ذلك من العبارات . (ومن البلاغيين من وضع الاقتباس في مكانة مرموقة في الصناعة البلاغية ، ليس فوقه من الكلام ما هو أعلى درجة منه ، لأنه ممزوج بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به)[12]

(والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام : مقبول ومباح ومردود ، **فالأول** : ما كان في الخطب والمواعظ ونحو ذلك ، **والثاني** : ما كان في العهود ومدح النبي والغزل والرسائل والقصص ، **والثالث** : على ضربين : أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ، كما قيل عن أحد بني مروان إنه وقّع على مطالعة فيها شكاية من عمّاله : فقال : " إنّ إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم " اقتباسا من الآيتين 25 – 26 من سورة الغاشية والآخر تضمين آية كريمة في معرض هزل ، ونعوذ بالله من ذلك ، كقول القائل :

أَوْحَى إلى عُشّاقِهِ طَرَفُه هيهات هيهات لما توعَدُون)[13] ، اقتباسا من الآية 36 من سورة المؤمنون .

(ومن المسائل التي يجب تثبيتها في موضوع الاقتباس أن الشعراء والخطباء والكتاب عندما يأتون بنصوص من القرآن أو الحديث الشريف لا يأتون بها على كونها نفس المقتبس منه ، ولولا ذلك للزمهم الكفر فيلفظ القرآن والنقص منه ، ولكنهم يأتون به استحسانا للفظ القرآن ولوقعه وتأثيره في النفوس .)[14]

وأمثلة الاقتباس من القرآن في باب الشعر كثيرة لا حصر لها ، ولم يقتصر الاقتباس من القرآن الكريم على الشعر فحسب فقد شمل النثر أيضًا ، إلا أنه يعزّ على الباحث أن يجد أمثلة كثيرة للاقتباس من الحديث النبوي الشريف في الشعر، إذ لم أعثر على نماذج كثيرة لهذا الاقتباس كما كان الأمر مع الاقتباس من القرآن الكريم ، وربما يرجع ذلك إلى كثرة تداول النصوص القرآنية وحضورها في الذهن أكثر من نصوص الحديث الشريف وكذا الشكوك التي تلتف حول بعض النصوص المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتضعفها أو تنكر نسبتها إليه مما يجعل الاقتباس ضعيفا وذا قيمة فنية متدنية .

الاقتباس الحرفي والإيحائي

وبعيدا عن النظريات والتعاريف المختلفة ، فقد ارتأيت التركيز من خلال هذا البحث المتواضع على نوعين أساسيين من الاقتباس يتمثل أولهما في الاقتباس الحرفي اللفظي أما النوع الثاني فهو الاقتباس الإيحائي باعتباره أحد ظواهر التفاعل النصي .

والمقصود بالاقتباس الحرفي أو اللفظي أن يضمّن الشاعر شعره شيئا من كلام الله تعالى حرفيا دون تحوير أو تغيير في اللفظ ، ويعد هذا النوع أدنى مستويات التناص كونه يفتقد إلى عنصر الإيحاء وعنصر المفاجأة لدى القارئ ويجعل النص أكثر توقعا لديه (لأن قيمة كل ظاهرة أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا بحيث كلما كلما كانت الخاصية غير منتظرة كان وقعها على نفس القارئ أعمق .)[15]

(أمّا الإيحائي فهو أعمق من الحرفي إذ يتجلى بالتشرب والذوبان الكلي الذي لا يظهر منه إلا الإشارة أو التلميح والإيماء دون التصريح باعتماد المعنى دون اللفظ على خلاف المستوى السابق ، ويكون بالاستفادة من الآيات والمعاني القرآنية والقصص القرآني إلى المعاني المراد تبليغها ، وتوظيفها بحيث تكون منصهرة في النص الشعري المنشأ ولا تظهر منها سوى إشارات تحيل عليها ، ويتوقف تحديد هذا النوع على ثقافة القارئ أي أنه يتطلب قارئا نموذجيا . وبذلك يدخل التناص ومعه المتلقي في حقل التأويلية التي ستستخدم فيها حتماً معيارية من نوع ما وسيرى المتلقي نفسه يميل مع هذا النص ويتفاعل معه ويختار له بعداً تأويليا من بين العديد من الأبعاد الأخرى وهذا يتم وسط مجموعة من القراءات التي لابدّ أن ينزاح المتلقي مع واحدة منها ويراها هي التي تعلي من شأن شعرية النص وتطرح بصورة حتمية مسألة قيمة العمل.)[16]

(وهذا بالطبع يحتاج إلى قارئ مسلح بوعي نقدي عالٍ قادر على تحليل مفردات النص ، وهذا صنف من التحليل يعد فاتحة لعملية النقد أو متزامناً معها وهو يقود إلى عملية تأويل النص واستخلاص المواقف الجمالية والإبداعية فيه ، ولابدّ لهذا التأويل أن يتناص مع الأركان المؤسسة لثقافة الناقد الذاتية ورؤاه الفردية المرجعية .)[17]

(فالتناص كغيره من المكونات الأخرى للنص يخضع للتفاوت بحسب وعي المنشئ وتفاعل المتلقي ، فقد لا يتفاعل المتلقي مع تناصات المنشئ خصوصاً إذا كانت لا تنتمي إلى مجاله الثقافي ولم تكن جزءاً من مرجعيته المعرفية وهذا ما واجهه الشعر العربي الحديث بدرجات متفاوتةٍ مما يجعل المتلقي يشعر بالغربة أمام النص وباستحالة فهمه لمقاصده .)[18]

ولكن الباحث لا يجب أن ينظر إلى العملية بهذا السوء ، فليس كل تعددية للنص تعني تشتت هويته بل على العكس قد تعني إثراءه وتعاظم أفقه الدلالي بما تكسبه تلك التعددية من القراءات الحّمالة لوجوه عديدة .

اقتباس أبي نواس من سورتي الكهف والبقرة

قد يعتقد من يسمع عن شعر أبي نواس دون أن يقرأه أو يتدبر معانيه أنّه أبعد ما يكون عن كلام الله تعالى والمعاني الدّينيّة المستوحاة منه ، وذلك لما ناله من سمعة أساءت كثيرا لشخصيته كمسلم أولا وكشاعر فذّ في المقام الثّاني ، وقد فتح عليه هذا الأمر باب التلفيق إذ يقول النقاد أنّ كثيرا من الشعر المنسوب إليه ظلم في حقّه ، إلّا أنّ القارئ لشعره لابد أن يلحظ ما يزخر به شعره من اقتباسات قرآنية سواء كان ذلك في مقام اللهو والعبث أو بغرض الزهد وإظهار النّدم والتوبة أو لأغراض أخرى في نفسه ، وإذا كان الاقتباس في باب الزهد عاديا بل مطلوبا لابد منه فالعجيب في أمر هذا الشاعر توظيفه للألفاظ والمعاني القرآنية بعيدا عن إطارها الديني وتوظيفها في اتجاه معاكس تماما تبدو فيه نبرة السخرية

والاستهزاء أحيانا لتزكية نزوعه إلى الشرب واللهو والعبث وإشباع نزواته الخبيثة ، وليس من باب الصدفة أن نجد ذلك في شعر أبو نواس المتأثر بابن الحباب أيّما تأثير ، إذ نجد أسلوب توظيف المعاني والطقوس الدينية في مقام الشرب واللّهو عند أستاذه والبة بن الحباب حيث قال في وصف إبريق الخمر موظفا معنى الصلاة :[19]

إبريقُنا مُصَــلٍّ يضحك في صَلاتِه

يَكُبُّ ثم يُقعي كالظّبي في فَلاتِــه

يَمُجُّ كلَّ شيءٍ يَمُرُّ في لَهاتِــــــه

وقد أخذ أبو نواس عن الأبيات السابقة قائلا :[20]

في أباريق سُجّدٍ كبنات الـ ـماء أَقْعَيْن من حذار الصّقورِ

ولم يكن تشبّه أبي نواس بابن الحباب مقتصرا على نظم الشعر فحسب ، بل جعل منه قدوة له في سلوكاته وفساد أخلاقه ونمط حياته عامة .

وكانت تشرّبات الشاعر من النصوص الدينية في أغلبها منصهرة، فلم يظهر منها إلا إيماءات بسيطة وإشارات، وقد تجلى هذا النمط في عدّة مواضع من شعره .

ولعل أبا نواس اختار استيحاء النص القرآني بالذات ليعمق وصف حاله ويجعل المتلقي متعاطفا معه يشاركه مصابه، ولا شك أن إعجاز القرآن واضح في ذهن أبي نواس، ويبدو أن هذا هو ما دفعه للتناص مع الآيات القرآنية، وقد استطاع أبو نواس بعبقريته الفذة أن يتشرب معانيها بطريقة ذكية وبارعة .

فنجده يكشف عن فاعلية الخمر من خلال الإشارات القرآنية التي يوظفها في شعره ، حين يقول :[21]

قام الغلام بها في الليل يمزجهــا كالبدر ضوء سناه للدجى حــال

تكاد تخطف أبصارا إذا مزجــت بالماء واجتلت في لونها الجالي

وقد تمكن أبو نواس من خلال البيتين السابقين من إظهار تقديسه للخمر وتعظيم شأنها من جهة ، والكشف عن فاعليتها في نفس الناظر فهي تخطف البصر لشدة صفائها وعدم كدرها ، والملاحظ أن تحقيق أبي نواس لهذه المعاني كان عن طريق تأثره بالآية القرآنية ﴿ كَادَ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[22] ، ونستطيع أن نلمس هذا التأثر بشكل جلي من

خلال عبارة " تكاد تخطف أبصارا " التي اعتمدها لوصف شدة لمعان الخمر حال مزجها بقدرتها على خطف الأبصار كما هو الحال في شدة لمعان البرق . متأثرا في ذلك بشدة لمعان البرق في الآية .

ويتعدى الشاعر في اقتباسه مضمون الآية الواحدة في بعض أشعاره فيتشرب معاني آيتين أو أكثر أحيانا ويعمل على توظيفها بأشكال مختلفة، فينقلها نقلا حرفيا مباشرا تارة أو يستحضرها استحضارا إيحائيا دلاليا في أحيان أخرى، ومن أمثلة ذلك في شعره قوله :

لفتية قد بكروا بأكلب قد أدّبوها أحسن التأدّب

في تداخل دلالي مع مضمون الآيتين من سورة الكهف ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾[23] ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾[24] مع استحضار إيحائي خفي لقوله تعالى ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[25]

وجاء توظيف أبي نواس لقصة أصحاب الكهف في معرض امتداح أصحابه المشاركين له لحظات السكر والنشوة ، الذين خصص لهم جزءا هاما من أبياته ، فقد كثر توظيفه للفظة الفتية في خمرياته . يقدم أبو نواس « الفتية » ويشير إلى مجموعة من الصفات التي يتسمون بها وفي تصرفاتهم . ففي سورة الكهف يُعدّ الفتية من المؤمنين وفي هذا تناقض بين واقع « فتية أبي نواس » الذين يرتكبون المعاصي وفتية أهل الكهف ، وهذا ما يُظهر أسلوباً يتّبعه الشاعر باستمرار حين يُقلّب الأوضاع عمداً كما أشرنا سابقا .

وفي سياق آخر بعيدًا عن رفقة السوء والشرب عمد الشّاعر إلى عدّة اقتباسات اللّفظية في شعره كقوله :[26]

وقلتُ ربّي ذو رحمـ ـة و ذو غفران

استحضارا لقوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾[27] مستحضرا معنى رحمة الله الواسعة في مقام " الزهد " .

إلّا أنّ هذا الاقتباس رغم حرفيّته إلّا أنّه لم يكن اجتراريّا للفظ الآية دون تحوير أو تغيير ، بل برزت من خلاله قدرة الشّاعر على التّشرّب والاستفادة من ثقافته الدّينية .

والملاحظ أنّ الاقتباسات السّابقة مأخوذة من سورة الكهف ، كما نلاحظ على اقتباس أبي نواس من آيٍ القرآن الحكيم كثافة الاقتباس من سورة البقرة ، ولا يمكن أن يكون هذا من باب الصدفة . فتكرار بعض المعاني يؤكد للقارئ أنه أمام اختيار مؤكد لدى الشاعر. ونبدأ من قوله الشهير في وصف الخمر :[28]

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها إذا مسّها حجر مسّته سرّاء

الذي ارتأيته مُقتبَسًا من قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾[29]

حيث أنّ وجه الشّبه بين الآية الكريمة والنص الشعري يكمن في اللّون الأصفر البهيج الذي يسرّ ناظره ويحرّك الجماد ببثّ روح السرور فيه ، وأبو نواس كما سلف الذّكر مولع بكلّ أوصاف الخمر الجذّابة ، وها هو يختار لها وصفا قرآنيا راقيا ، ليمنح خمرته مكانة تضاهي مكانة بقرة بني إسرائيل التي أحيى بها الله الميّت وأظهر على لسانه كلمة الحق .

وينطبق هذا على قوله أيضا :[30]

صفراء تَسْلُبُكَ الهُمومَ إذا بدتْ وتُعِيرُ قلبَك حُلّة السّرّاءِ

ولم يقتصر تناص أبي نواس مع القرآن الكريم على التشرب المعنوي في شكل إيحاءات فقط ، بل نجد له عدة اقتباسات حرفية وتداخلات لغوية مباشرة مع عدد من آي القرآن الكريم .

حيث يعترف أبو نواس بحرمة شرب الخمر وعظيم وزر شاربها في قوله :[31]

لَحانِي كي لا أشربَ الرَّاحَ إنّها تُورث وِزرًا فادحًا من يذوقها

اقتباسا من آية تحريم الخمر في سورة البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[32]

ونلمس في بعض الأحيان شيئا من التناقض في شعر أبي نوّاس ، إذ يصرُّ على المعصيةِ والمجون تارةً ويبدي امتعاضهُ تارةً أُخرى . فيذكر في غير ما موضع عدم رضوخه للعاذلين رغم قوة حجتهم كقوله :[33]

أ عَاذِلتِي اقصُري عن بعضِ لوْمِي فَراجِي تَوْبتِي عنْدِي يخيب

تُعيبِينَ الذّنُوبَ و أيُّ حـرٍّ مِن الفتيَانِ ليسَ لهُ ذنـوب

ويظهر حسّ التأثر والندم والتوبة في مواضع أخرى – على قلّتها– :[34]

أَعاذِل بِعْتُ الجَهلَ حيث يُبَـاعُ وأَبرَزْتُ رأسِي ما عليهِ قِناعُ

نهاني أميرُ المؤمنينَ عن الصِّبَـا و أمرُ أميرِ المؤمنينَ مُطـاعُ

و لهـوٍ لتأنيـبِ الإمامِ تركتـــهُ و فيه لِلاهٍ منظَر و سَمَـاعُ

وقد خَلصتُ إلى أن ذلك يعد من إبداعات أبي نواس ، فجمعه بين اللهو والزهد في نفس القصيدة ، وكثافة ما تحتوي عليه تلك القصائد من الإيحاءات والإشارات إلى النصوص القرآنية ليس بالأمر الهيّن ، ونلمس هذه الظاهرة بشكل ما

عند أبي العتاهية أيضا في بعض قصائده (المزج بين اللهو والزهد) إلّا أنّها لم تكن بارزة لديه كما هو الحال عند الحسن ابن هانئ .

(ويذكر أنّ أبا نواس ذهب إلى الحجّ وبعد عودته عمد إلى الإلحاح في بعث الرسل والوسطاء على جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي يستعطفونها لتلقاه ويسعد بلقائها ، فلما ضاقت برسله ومبعوثيه ضربت له موعدا ولم يكن في نيتها أن تفي له بالوعد ولم تجبه إلى رجائه ، فكان يطوف بقصر الثقفيين وينشد :

أطوف بقصركم في كلّ يوم كأنّ لقصركم خلق الطواف)[35]

مشبها بذلك قصر الثّقفيين ببيت الله الحرام الذي لم يجعل الطواف لبناءٍ سواه ، ومقتبسا من قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[36]

كما يمكن الاستدلال على تأثر الشاعر الكبير بسورتي البقرة والكهف أيضا بإحدى قصائده ، حيث لفت انتباهي إسهاب الشاعر في اعتماد السورتين كمرجعية هامة لأفكاره المبثوثة فيها بالإضافة إلى بضع اقتباسات من سور أخرى ، وكانت اقتباساته (و لاسيما من سورة البقرة) بارزة في معظم أبيات القصيدة . ومن هنا وجب التساؤل عن المعاني الجديدة التي أضفاها هذا التناص على القصيدة :[37]

وَ فِتيَةٍ كَمَصابيحِ الدُجى غُـــرَرٍ شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الصيدِ المَصاليـــتِ

صالوا عَلى الدَهرِ بِاللَهوِ الَّذي وَصَلوا فَلَيسَ حَبلُهُمُ منهُ بِمَبتـــوتِ

دارَ الزَمانُ بِأَفلاكِ السعودِ لَهُـــم وَ عاجَ يَحنــو عَلَيهِم عاطِفَ الليـــتِ

نادَمتُهُم قَرقَفَ الإِسفَنطِ صافِيَـة مَشمولَةً سُبيَت مِن خَمرِ تِكريـــتِ

مِنَ اللَواتي خَطَبناها عَلى عَجَـــلٍ لَمّا عَجَجنا برَبّاتِ الحَوانيـــتِ

في فَيلَقٍ لِلدُجى كَاليَـمٍّ مُلتَـطِـمٍ طامٍ يَحارُ بِهِ مِن هَولِهِ النـــوتي

إِذا بِكافِرَةٍ شَمطاءَ قَد بَـــرَزَت في زَيِّ مُختَشِّعٍ لِلَّهِ زِمّيـــتِ

تنمي إلى محتد الكفارِ في نسـبٍ أهـل الصوامع عبّاد الطواغيـت

قالَت مَنِ القَومُ ؟ قُلنا مَن عَرَفتِهُـمُ مِن كُلِّ سَمحٍ بِفَرطِ الجودِ مَنعـوتِ

حَلّوا بِدارِكِ مُجتازينَ فَاغتَنِمي ... بَذلَ الكِرامِ وَ قولي كَيفَما شيتِ

فَقَد ظَفِرتِ بِصَفوِ العَيشِ غانِمَةً ... كَغُنمِ داوودَ مِن أَسلابِ جالوتِ

هِيَ الصَباحُ يُجلّي اللَيلُ صفوَتَها ... إِذا ارتَمَتْ بِشِرارٍ كَاليَواقيتِ

رَمْيَ المَلائِكَةِ الرُصّادِ إِذ رَجَمَتْ ... في اللَيلِ بِالنَجمِ مُرّادَ العَفاريتِ

فَأَقبَلَت كَضِياءِ الشَمسِ بازِغَةً ... في الكَأسِ مِن بَينِ دامي الخَصرِ مَنكوتِ

قُلنا لَها كَم لَها في الدَنِّ إِذ حُجِبَت ... قالَت قَدِ اتّخِذَت مِن عَهدِ طالوتِ

كانَت مُخَبَّأَةً في الدَنِّ قَد عَنَسَت ... في الأَرضِ مَدفونَةً في بَطنِ تابوتِ

فَقَد أُتيتُم بِها مِن كُنهِ مَعدِنِها ... فَحاذِروا أَخذَها في الكَأسِ بِالقوتِ

يُديرُها قَمَرٌ في طَرفِهِ حَوَرٌ ... كَأَنَّما اشتُقَّ مِنهُ سِحرُ هاروتِ

حَتّى إِذا فَلَكُ الأَوتارِ دارَ بِنا ... مَعَ الطبولِ ظَلِلْنا كَالمسابيتِ

لَم يَثْنني اللَهوُ عَن غِشيانِ مَورِدِها ... وَ لَم أَكُن عَن دَواعيها بِصِمّيتِ

حَتّى إِذا الشَيبُ فاجأني بِطَلعَتِهِ ... أَقبَحْ بِطَلعَةِ شَيبٍ غَيرِ مَبحوتِ

عِندَ الغَواني إِذا أَبصَرنَ طَلعَتَهُ ... آذَنَ بِالصَرمِ مِن وِدٍّ و تَشتيتِ

فَقَد نَدِمتُ عَلى ما كانَ مِن خَطَإٍ ... وَ مِن إِضاعَةِ مَكتوبِ المَواقيتِ

أَدعوكَ سُبحانَكَ اللَهُمَّ فَاعْفُ كَما ... عَفَوتَ يا ذا العُلى عَن صاحِبِ الحوتِ

حيث تحتوي الأبيات السابقة على أسماء شخصيات مشهورة من البيت الثامن إلى الحادي والعشرين من أمثال: طالوت وجالوت وداوود وهاروت وصاحب الحوت (نبيّ الله يونس عليه السلام) كما أنها تتضمن كلمة التابوت وإضافة إلى ذلك فإنّ جميع هذه الأسماء تحتل مكان القافية وتذكّرنا بأحداث مذكورة في القرآن وخاصة في سورة البقرة ، فكان من الضروري الوقوف برهة لأن اقتباس كهذا لا يمكن أن يكون حدث من باب الصدفة ولمجرد الحصول على بضع قوافٍ بل هو مقصود . ولذلك يجدر بنا أن نلقي نظرة إلى تسلسل الآيات ودور ذلك التسلسل في بناء المعنى ، لنحاول أن نكتشف من خلال تسلسل الآيات نوعية العلاقات القائمة بين النصين والتي تؤكد أن الشاعر قد قصدها للتعبير عن آراء أو مفاهيم أو صور في قصيدته هذه.

فنجد أنّ الآية ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾[38] من سورة البقرة تذكر الطاغوت وصراع النور والظلمات كما يفعل أبو نواس وفتيته في موقف سعيهم إلى الخمارة وما تمخّض عن ذلك من أحداث .

و يمتاز الفتية حسب الشاعر بصفة معروفة معتادة في قصائد أخرى له وهي الكرم والسّخاء (البيت9) ، وموقفهم من المال يلفت النظر حيث أنهم مستعدون أن يبذلوا في الخمر مبالغ باهظة (البيت10) دون مبالاة « قولي كيفما شيتِ » « بذل الكرام » ، ويجدر بنا أن نقف عند الأبيات التي يقوم فيها الحوار بينهم وبين الخمارة ويدور فيه الفصال والمساومة لشراء أحسن الخمور . وهذا الوضع مألوف شائع في خمريات أبي نواس ، غير أنّنا هنا أمام أبيات تشير إلى مساومة حادة ذات علاقة بالآيات المشيرة إلى طالوت الذي أصبح ملكاً على بني إسرائيل بعدما كانوا يبحثون عن ملك لمحاربة أعدائهم . إلّا أنهم لم يرضوا به لقلة ماله ﴿ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾[39] غير أن الله جعل آية التابوت لإقناع بني إسرائيل بأحقية طالوت في الملك ، والإلحاح على المال يسترعي الانتباه ويحرّنا إلى التساؤل حول العلاقة بين جود الفتيان وبذلهم أموالاً طائلة وقلة مال طالوت ؟

ثم يأتي ذكر داوود وجالوت وقصتهم معروفة في البيت11 من هذه القصيدة :

فقد ظفرت بصَفْوِ العيش غانمةً كَغُنْم داوودَ من أسلاب جالوت

أخذًا عن قوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾[40] وسياق جميع هذه الآيات يرمي إلى الحث على القتال في سبيل الله كما يستنتج من النص القرآني نفسه ومن التفاسير.

أما ذكر الصوامع والطواغيت :

تنمى إلى مَحْتِدِ الكفّار في نسبٍ أهلِ الصوامع عُبّادِ الطواغيتِ

فَيُحيلنا على اقتباس معنوي أكثر منه لفظي ، فقد وردت مفردة الطاغوت في عدّة آيات من القرآن وكلّها واردة بصيغة المفرد ، وفي سورة البقرة بالذات نجد قوله تعالى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[41] وقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[42] إلّا أنّها وردت بصيغة الجمع في النص الشعري .

وتعني كلمة الطاغوت : ما عُبد من دون الله عزّ وجلّ ، وكلّ رأس في الضّلال طاغوت قيل : الأصنام ، كما قيل : الشيطان والكهنة ومردة أهل الكتاب حسب ما ورد في قاموس المعجم الوسيط .

فالخمّارة بصفتها كافرة على حد قول الشاعر تنتمي إلى « عبدة للطواغيت » وهي ملّة اخترعها الشاعر كما اخترع عبارة « أهل الصوامع »

أما موضوع المسخ فالهدف منه إظهار التزمّت والتّمسك بالدين يُخفي على سبيل الاستهتار والسخرية عدم مبالاتهم بالدين أصلاً وقد يكون أيضاً رداً على خشوع صاحبة الحانة المصطنع « قد برزت في زيّ مختشع لله زمّيتِ » (البيت 7) أمّا طالوت فيظهر مرة أخرى مقترنا بعمر الخمر (البيت 15) وهي في التابوت .

ولا شك أن جميع هذه الاقتباسات مُسَخّرة لأداء معنى متكامل ، ففي هذا الصدد يجب ألّا ننسى أن آية الملك طالوت هي التّابوت . ويبدو أن المعنى الذي ورد به في سورة البقرة يسمح للشاعر أن يوازي ويساوي بين التابوت وبين الخمر والسكينة التي تحدثها في نفوس الفتية ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[43] ، وصورة الملائكة التي تحمل التابوت تدعمها صورة الملائكة المذكورة فعلاً في البيت الخامس عشر حيث نجدها على شكل جنود يرجمون العفاريت .

ومن أهم الشخصيات التي لم تُذكر إلا في سورة البقرة هاروت وصاحبه ماروت ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾[44] وقد اشتهر هاروت بالسحر ، فنرى من ذلك كلّه أنّ الفتية نجوم يُهتدى بهم وأنهم مقيمون في السماء الدنيا وهم حماة الوحي بصفتهم نجوماً وكواكب يُرجم بها الشياطين ، وأنهم يخوضون معركة النور والظلام ويشاركون في ذلك الخمر التي لا يكادون ينفصلون عنها في الأعمال والصفات كما يدل على ذلك أيضاً تسلسل الآيات في سورة البقرة .

ويجب على دارس القصيدة أن يلاحظ أن الاقتباسات العديدة من النص النموذج (القرآن) تبني صورة مختلفة تماماً عمّا كانت ستكون لولاها. فتطبيق هذه الاقتباسات على القصيدة ومحاولة فهمها من خلال سياقها في القرآن لا يسمح لنا أن نكتفي بالصورة التي نستخرجها للفتيان عادةً أي صورة مجموعة من الشبان تنتمي إلى الأرستقراطية وتفرض كبرياءها ومالها وتتحدى القوانين الدينية والاجتماعية وإن كانت هذه الملامح صحيحة على كل حال. ولكن إذا اتخذنا الاقتباسات بدقّة أكبر رأينا أن المصابيح ليست مجرد إشارة إلى جمال هؤلاء الشبان بل أنّ النص القرآني يضيف أبعاداً وعمقاً يضع الفتية والخمر على نطاق تاريخي ملحمي بل كوني أسطوري . كل من الصفات والأعمال معظّمة ممجدة فمثلاً بحكم كون الفتيان مصابيح الدجى يصبحون حماة الوحي ويخوضون معركة النور والظلمات سواء كان ذلك ضد العفاريت أو دفاعاً عن الإيمان بالله والتوحيد مع داوود وطالوت ومقامهم السماء الدنيا ، ولا يخفى ما في ذلك من مفارقة وسخرية تعوّدنا عليها في أشعار أبي نواس ، أمّا صفات الألوهية فقد أعطاها الشاعر للخمر في أكثر من قصيدة وهي واضحة أيضاً من خلال النور والمصباح وضياء الشمس ، وكذلك من خلال القدرة على الخلق في عملية المزاج الذي ينتج

منه مزيد من النور ومن الدرر واليواقيت ، والخمر أيضاً تخوض معركة النور والظلمات ولا يخفى تأليهها فهي والفتيان يملكون قدرة الأمر والنهي للدهر، أمّا هي فلأنها أزلية مثله وهم لأنهم يُخضعون الدهر.

أمّا خاتمة القصيدة التي تظهر ندامة الرّاوي وتوبته وتشير إلى «صاحب الحوت» تَدْعَم وتهدم في آن واحد تأليه الخمر ورفع الفتيان إلى قمم غير إنسانية خارقة للعادة . فقصة يونس عليه السلام تدل على أنه اعتقد أن الله لا يقدر عليه وقد ذكر عنه ذلك في بعض الآيات القرآنية ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[45] فكأن الشاعر يدعو القارئ إلى التأمل في كبرياء الإنسان ويوحي أنه اكتشف قدرة الله وندم على ما فات مما جعله يتوب ويبدو أنّه متأكّد من عفو الله وصفحه عنه كما صفح عن النبي يونس استنادا لتتمة الآية ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[46] فقد قصد الشاعر بذلك قلب الخمرية إلى زهدية من خلال خاتمة زهدية . وليس ذلك غريبا عن أبي نواس ، فقد سبقت الإشارة إلى أنّ مزجه بين هذين الغرضين الشعريين يعد إبداعا منه (من النّاحية الفنّية لا الدّينية والأخلاقية) .

وآخر ما يتعلق بهذا الاقتباس الطويل والغني من سورة البقرة هو حدث النهر كامتحان لجنود طالوت بشرب الماء أو عدم شربه وتأويله في سياق القصيدة مع الإشارة إلى طريقة الشرب التي تحددها الآية للمقاتل في سبيل الله ، أي مَنْ شرب ماء النهر فاغترفه بيده غرفة ولم يزد عليها . حيث يبدو أنه من الصعب أن نضرب صفحاً عن هذه الآية وتفسيرها في نص يدور حول الشرب حتى وإن كان شربا للخمر! ولا يخفى أنّ آداب الشرب قد لفتت أنظار أبي نواس في أكثر من قصيدة . وهذا في رأيي يدعم الافتراض القائم على أنّ أبا نواس يقصد باقتباس هذه الآية هنا آداب الشرب ، وقد تساعدنا هذه الإشارة على فهم البيت الذي يليه وهو يحتوي على تحذير في معاملة الخمر :

فقد أُتيتم بها من كُنْهِ مَعدنها فحاذروا أخذها في الكأس بالقوت

ولا يمكن أن ننهي الحديث دون أن نقف وقفة سريعة عند التوبة التي تختتم بها قصيدة أبي نواس . فهي تُفهَم بشكل منطقي في الرؤية الإسلامية وإن كان فيها شيء من المفاجأة في خاتمة الخمرية التي تنفي ماضي الشاعر :

على ما كـــان من خطأ ومن إضاعة مكتوب المواقيت

غير أن لا شيء في القصيدة يدل على أن الشاعر يقصد الدفاع عن الأخطاء ، وإن لم تكن هذه الفكرة بعيدة عن معتقداته حسبما نجدها في فلسفة الشاعر ورؤيته العامة للحياة .

و في ما يلي جدول يلخص مجموع الاقتباسات التي تضمنتها القصيدة من سورتي الكهف والبقرة :

رقم البيت في القصيدة	النص الشعري	النص القرآني	السورة / الآية
ب1	وفتية كمصابيح الدجا غُرَرٍ	﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾	الكهف 13
ب8	تنمي إلى محتد الكفارِ في نسبٍ أهل الصوامع عبّاد الطواغيت	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة 256-257
ب11	فقد ظفرت بصَفْوِ العيش غانمةً كَغُنْم داوودَ من أسلاب جالوت	﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾	البقرة 251
ب15	قالت قد اتخذتْ من عهد طالوت	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	البقرة 247
ب16	كانت مخبأةً في الدَنِّ قد عنّست في الأرض مدفونة في جوف تابوت	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	البقرة 248
ب22	كأنما اشتُقّ منه سحرُ هاروت	﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾	البقرة 102

بالإضافة إلى اقتباسات من سور أخرى :

رقم البيت في القصيدة	النص الشعري	النص القرآني	السورة / الآية
ب8	تنمي إلى محتد الكفارِ في نسبٍ أهل الصوامع عبّاد الطواغيت	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾	الحج 40
ب13	رَميَ الملائكةِ الرصاد إذ رجمت في الليل بالنجم مُرّاد العفاريت	1- ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ 2- ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾	1- الصافات 6-7 2- الجنّ 9
ب14	فأقبلت كضياء الشمس بازغةً	1- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ 2- ﴿ فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾	1- يونس 5 2- الأنعام78
ب23	ومن إضاعة مكتوب المواقيت	﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾	النساء 103
ب24	أدعوكَ سُبحانَكَ اللّهُمَّ فاعْفُ كما عَفَوتَ يا ذا العُلى عَن صاحِبِ الحوتِ	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الأنبياء 87-88

ويظهر من خلال هذا الجدول أن الاقتباس قد مسّ جلّ أبيات القصيدة ، بل امتدّ تأثيره إلى بقية الأبيات التي لم يكن صريحا واضحا فيها .

خاتمة :

تظهر من خلال هذه الدراسة وتحليل مواضع اقتباس أبي نواس من سورتي البقرة والكهف اقتباسا حرفيا أم إيحائيا على حد سواء القدرة الفائقة على تشرب المعاني من مصادر مختلفة ، مما ينمّ عن تشبعه بثقافة دينية قرآنية واسعة وما عرف عنه من تأثر بالمذهب المعتزلي ، رغم عدم ظهور أثر ذلك على سلوكه واعتقاده إلّا في آخر أيام حياته حين انصرف إلى الزهد وندم أشد النّدم على ما فات من شباب وطيش .

إلا أنّ المفارقة العجيبة تبدو في كثرة اقتباس الشاعر من القرآن والحديث في باب خمرياته التي تمثل الجزء الأكبر من ديوانه ، حيث أن هذا الغرض احتل مساحة هائلة من ديوانه (ثلث الديوان) رغم بعده التام في سلوكه عن التدين ، لتبدو من خلال هذه الاقتباسات سعة ثقافته الإسلامية وعمق إلمامه بها ، وقد وصل به الحد إلى المبالغة في توظيفها أحيانا .

وإذا كان الاقتباس ذا طبيعة دينية فبالإمكان الحكم على أبي نواس بالتجديد في توظيفه للألفاظ والمعاني القرآنية من خلال الخروج بها عن إطارها الديني ، بل وظفها في اتجاه معاكس تماما تبدو فيه نبرة السخرية والاستهزاء أحيانا لتزكية نزوعه إلى الشرب واللهو والعبث وإشباع نزواته الخبيثة ، إلا أنه أجاد توظيفها من الناحية الفنية بغض النظر عن تحويره للمعاني ، وهذا ما يحسب له من الناحية الفنية الإبداعية رغم أننا لا يمكن أن نتقبل ذلك من الناحية الدينية أولا كونه شاعرا مسلما ، ومن الناحية العقلية والأخلاقية ثانيا كونها معان مستوحاة من كتاب الله المقدس وجب على الشاعر التأدب في التجرّئ عليها ووضعها في ما يناسب مقامها ، وهذا ما فعله في قصائد الزهد التي تحتل جزءا يسيرا من ديوانه ، فلم تخل هي الأخرى من الاقتباس الديني الفعال الذي يظهر ندمه الشديد على جرأته تلك مما يعكس مقدار اللهو والفجور الذي كان غارقا فيه ، فكان توظيفها قويا مؤثرا برزت من خلاله عاطفته الصادقة وتنازله عن فلسفته السابقة ونظرته إلى المعصية بل إلى الحياة بشكل عام إلّا أنه في حكم المؤكد أنّه قد سبق إلى هذه المعاني من قبل شعراء آخرين من أمثال أبي العتاهية .

الهوامش :

(1)- ينظر: إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد ، مدخل إلى علم لغة النص، ص35 .

(2)– الفكيكي عبد الهادي ، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، دار معد دمشق – سوريا ، 1996م ، ص7 .

(3)- الفكيكي عبد الهادي ، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، ص11 .

(4)– سورة طه ، الآية 10 .

(5)- الفكيكي عبد الهادي ، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، ص11 .

(6)- الفراهيدي ، 1980 ،ج5 ، ص86 .

(7)– رواه أبو داوود في سننه والنسائي ، الحديث 793 .

(8)– سورة الحديد ، الآية 13 .

(9)– القزويني جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم- بيروت ، ط4 ، 1998م ، ص381 .

والجرجاني علي بن محمد ، التعريفات ، تح : ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي- بيروت ، 1405هـ ، ط1 ، ص49 .

(10)– الأرزي تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي ، خزانة الأدب ، تح :عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ، 1987م ، ج2 ، ص455 .

(11)– القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تح : يوسف علي الطويل ، دار الفكر- دمشق ،1987 م ، ج1 ، ص237 .

(12)– الموصلي، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، المثل السائر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت ، 1995م ، ج1 ، ص137 .

(13)– الأرزي ، خزانة الأدب ، ج2 ، ص455 .

(14)– الأرزي ، خزانة الأدب ، ج2 ، ص457 .

(15)– عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية ، تونس ، 1982م ، ص282 .

(16)- انظر: الشعرية ، تودوروف ، ص80 .

(17)- انظر: المفكرة النقدية ، بشرى موسى صالح ، ص59-60 .

(18)- انظر: لسانيات النص ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت/الدار البيضاء ، ط2 ، 2006م ، ص 327-330 .

(19)- صلاح فضل ، سجود الأباريق ، جريدة الاتحاد الإماراتية ، 23 يوليو 2009 .

(20)- ديوان أبي نواس ، المقدمة ص (ق) .

(21)- ديوان أبي نواس ، ص680 .

(22)- البقرة ، آية 20 .

(23)- سورة الكهف ، الآية 10 .

(24)- سورة الكهف ، الآية 18 .

(25)- سورة الكهف ، الآية 19 .

(26)- ديوان أبي نواس ، ص 543 .

(27)- سورة الكهف ، الآية58 .

(28)- ديوان أبي نواس ، ص 6 .

(29)- سورة البقرة ، من الآية69 .

(30)- ديوان أبي نواس ، ص702 .

(31)- ديوان أبي نواس ، ص9 .

(32)- سورة البقرة ، الآية 219 .

(33)- ديوان أبي نواس ، ص 12 .

(34)- ديوان أبي نواس ، ص 12 .

(35)- ديوان أبي نواس ، ص 230 .

(36)- سورة البقرة ، الآية 158 .

(37)- ديوان أبي نواس ، ص 38-39-40 .
(38)- سورة البقرة ، من الآية 257 .
(39)- سورة البقرة ، الآية 247 .
(40)- سورة البقرة ، الآية 251 .
(41)- سورة البقرة ، من الآية 256 .
(42)- سورة البقرة ، من الآية 257 .
(43)- سورة البقرة ، الآية 248 .
(44)- سورة البقرة ، ص 102 .
(45)- سورة الأنبياء ، الآية 87 .
(46)- سورة الأنبياء ، الآية 88 .

كل الحقوق محفوظة